

ظاهرة كسر أوائل الكلمات

في اللهجة البغدادية المعاصرة

م.م علي حمد عبدالعزيز الحياتي

كلية التربية - الجامعة العراقية

ملخص البحث:

إن من محاسن مجالات الدرس اللغوي الحديث دراسة اللهجات العامية المنتشرة في أرجاء الأرض، ومنها اللهجات التي تنحدر من العربية الفصحى، والقصد هو توصيف الحالة التي عليها هذه اللهجات وليس بالضرورة الدعوة إلى اتباعها، وقد حاولت في هذا البحث المشاركة في جمع وتوصيف وتحليل ظاهرة من الظواهر اللغوية القديمة الحديثة، التي أثرت في اللهجة البغدادية المعاصرة؛ رغبة مني في بيان الصورة المعاصرة للهجة البغدادية وتطورها عن الفصحى، وبيان أسباب ذلك التطور من خلال دراسة ظاهرة كسر أوائل الكلمات في اللهجة البغدادية.

وقد رصد البحث مجموعة من الألفاظ والمصطلحات التي تأثرت بهذه الظاهرة، وقد تكون هذه الألفاظ التي رُصدت منتمية إلى رتبة الأسماء أو الأفعال، لذلك أفردت الأسماء عن الأفعال في البحث، ثم أُتبع هذا الرصد ببيان وتحليل يوضح أسباب جنوح اللهجة البغدادية نحو هذه الظاهرة، مع مراعاة ما قيل في تحليل هذه الظاهرة قديماً وحديثاً، مراعيّاً في هذا البحث الحدود الزمانية والمكانية للهجة البغدادية وتمثل بحدود محافظة بغداد وضواحيها مكانياً، وما يزيد على عقد مضى زمانياً.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله صلّ اللهم وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم نلقاه.

وبعد: فإن من جميل البحث اللغوي أن تراعى بالدراسة والبحث اللهجات العامية اليوم، وهي التي تُسمع أصواتها وألفاظها وتراكيبها في كل موطن، وتنتشر هذه اللهجات على ألسنة الخاصة والعامة، فملاحظة هذه اللهجات يوضح للدارس مجموعة القوانين والتفسيرات التي رصدها اللغويون، والتي بدورها تحكم سير هذه اللهجات نحو التطور والتغير.

والعاميات التي تشيع اليوم على الألسن هي في حقيقتها تطور عن الفصحى، أو كما يطيب لبعض الكتاب والباحثين أن يسميها "فصحى محرفة"، وهذه حقيقة اللهجات في أغلب أحوالها، امتداد للهجات سلفت كانت شائعة في ربوع هذه البلاد، يقول الدكتور رمضان عبدالتواب (ت ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م): "وإن من يتأمل هذا الذي رُوي لنا عن اللهجات القديمة، في بطون المصادر العربية، يخرج بنتيجة صريحة واضحة، وهي أن ما نراه الآن في بعض لهجاتنا الحية المعاصرة، ليس في بعض ظواهره، إلا امتداداً لهذا الذي روي لنا في القديم"^(١)، أي أن اللهجات المعاصرة منحدره من اللغة العربية الفصحى بلا ريب، بعد أن أصابها التحريف والتغيير في الأصوات

(١) بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالتواب: ٢٦٤.

والأبنية والتراكيب استجابة لقوانين التطور اللغوي التي تدور على جميع اللغات.

والذي أود التنبيه إليه في مطلع هذا البحث هو أنني لا أود الدعوة لتقعيد العاميات والركون إليها واتباعها بانحرافاتهما، بل الحال هو توصيف تلك الانحرافات التي أبعدت اللهجات عن الفصحى، وبيان الأسباب والعوامل والقوانين التي حكمت هذا التغير والتطور، وإلا فالأصلُ اتباع العربية الفصحى، وما تتبع هذه اللهجات إلا بياناً لصورة اللفظ بعد مقارنته بالفصحى وتوضيح الطوارئ التي تعرض له فتخرجه عن حاله الأولى، ولا يتحقق هذا إلا بتدقيق النظر في لهجاتنا العامية اليوم.

والذي يهمنا هنا هو اللهجة البغدادية التي هي مادة هذا البحث وبضاعته، وقد عازمت بعد توفيق الله وعونه على دراسة ظاهرة من الظواهر التي أصبح لها تأثيرٌ واضحٌ ظاهر على مفردات هذه اللهجة، وشائع بين أبناء الناطقين بها، وهذه الظاهرة هي كسر أوائل الكلمات، بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ، فكان البحث بعنوان: "ظاهرةُ كسرِ أوائلِ الكلماتِ في اللهجةِ البَغْدَادِيَّةِ المُعاصِرَةِ"، وقضت خطة البحث أن تكون على مبحثين: الأول: تناول كسر أوائل الأسماء في اللهجة، والثاني: تناول ظاهرة كسر أوائل الأفعال، ويشمل ذلك الماضي من الأفعال والمضارع والأمر، وكل ذلك مصحوب باستقراء وتحليل لهذه الظاهرة.

والله أسأل أن يجعل ما كتبه في خدمة اللغة العربية وأهلها إنه تعالى
قريب مجيب الدعاء. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

إن ظاهرة كسر الحرف الأول من الكلمات المنتمية إلى شعبة الأسماء
تعدّ من الظواهر الشائعة في لهجة البغداديين المعاصرة، وقد رصد البحث
الذي بين أيدينا مجموعة من الألفاظ التي تخضع لهذه الظاهرة، وهذه
الألفاظ هي على سبيل الاستشهاد لا الحصر، وذلك لأن حصر المفردات
في لهجة كاملة لا يمكن في مثل هذا الموطن، ومن هذه الألفاظ: "سيّارة،
طيّارة، سويج^(١)، ضِعيف، رِجّال، رِخيص، شِعير، نِظيف، بَعير،^(٢) كَبِير^(٣)،
سَمين، نِذر" وغيرها كثير. بموت فيكي وبس بلا خط بلا هم

وُنسب هذه الظاهرة إلى لهجة الحجازيين، كما صرح بهذا الباحثون
قديماً وحديثاً، فقد أورد السيوطي (ت ٩١١ هـ، ١٥٠٥ م) في المزهّر كثيراً من

(١) السويج: هو مفتاح السيارة.

(٢) وكل هذه الألفاظ تنطق بفتح أولها في لهجة الريف وضواحي بغداد.

(٣) والكاف تحول في اللهجة البغدادية إلى صوت مزدوج، يسمى باللاتينية Affricata، وهو
الصوت الموجود في الإنجليزية في مثل children بمعنى أولاد. ينظر مزيد تفصيل عن هذا
الصوت: فصول فقه اللغة، رمضان عبدالتواب: ١٤٥-١٤٦.

الشواهد لهذه الظاهرة الصوتية، تحت عنوان "ذكر ألفاظ اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم"^(١).

ومن هذه الألفاظ التي ذكرها السيوطي^(٢):

لهجة الحجازيين	لهجة تميم
مِرية	مُرية
الحِصاد	الحَصَاد
الحِجَج	الحَجَج
رِضْوَان	رُضْوَان
القِنِيَّة	القُنُوَّة
زِهْد	زُهد

ولعل هذه اللهجة الحجازية قد أَلْقَتْ بظلالها على بعض ألفاظ أهل البصرة، فقد قال الأزهري: "ويقال: حِنْفَسٌ لِلْحِنْفَسَاء"^(٣)، وهي لغة أهل البصرة، واستشهد بقول الشاعر:

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: ٢٣٩/٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) والحنفساء دُوَيْبَةُ سوداء تكون في أصول الحَيْطَانِ. ينظر: العين، الخليل: ٣٣١/٤.

وَالْخِنْفُسُ الْأَسْوَدُ مِنْ نَجْرِهِ مَوَدَّةُ الْعَقْرَبِ فِي السَّرِّ^(١)

وقد علل الدكتور صبحي الصالح (ت ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م) هذه الظاهرة الصوتية من منظور اجتماعي، بعد أن أورد شواهد كثيرة لهذه الظاهرة، فقال: "على أننا بصورة عامة لاحظنا في الشواهد على تخالف العرب في نطق الأصوات، أن تميماً تجنح إلى الأشد الأفخم؛ لأنها بدوية، وأن قريشاً تختار الأرق الأنعم؛ لأنها حضرية"^(٢).

وقال في موضع آخر: "والأمثلة التي ذكرناها عن المعاقبة قليل من كثير، مما انطوت عليه بطون المعجمات والقواميس، فلا سبيل إلى إنكار ما تنطق به من ميل بعض العرب إلى الكسر، وبعضهم إلى الضم، ولا مفر من الاعتراف بتفضيل الحجازيين الكسر على الضم"^(٣).

فهو يرى أن المدنية والتحضر التي تحظى بالركة والنعمومة هي وراء كسر أوائل هذه الكلمات عند الحجازيين، أما الفتح فيحمل من التفخيم ما يناسب البيئة البدوية.

ويعلل بعض الباحثين هذه الظاهرة في لهجة سكان محافظة الكرك في الأردن، بأنه نوع من القياس الخاطيء، قياساً على الألفاظ التي يحدث فيها

(١) جاء ذكر البيت في المعاجم ولم ينسب لقائل. ونسبه الجاحظ في "الحيوان" لبشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) في قصيدة له يذكر فيها كثير من الحيوانات. ينظر: الحيوان، الجاحظ: ٦ / ٢٩١.

(٢) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٩٦.

(٣) السابق نفسه.

مماثلة صوتية إذا جاء بعد حركة الحرف الأول فيها حرف متلّو بكسرة قصيرة أو طويلة، كما في: بَعِير: أي بَعِير، وشَعِير: أي شَعِير^(١).

ولا أستطيع التعميم واعتماد العلة التي ذكرها صبحي الصالح إذا أردت تعليل هذه الظاهرة في لهجة البغداديين اليوم، وإن كان وصف المدنية ظاهراً على بغداد قديماً وحديثاً، فهي "أم الدنيا وسيدة البلاد" كما قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ، ١٢٢٩م)^(٢)؛ والسبب أن هذا التعليل غير مطرد بين الريف والمدينة في محافظة بغداد؛ إذ إننا نجد أن بعض أهل الريف والقرى الذين يستوطنون ضواحي بغداد وأطرافها أو ما يسمى بحزام بغداد وهي مناطق ريفية تحيط بمدينة بغداد يكسرون أول الكلمات فيقولون مثلاً: حَج، وزَلَم، بمعنى رجال، وذَبَّان. بمعنى دُباب، وهدم مفرد "هُدوم" بمعنى ملابس، ومحمد في مُحمد، كَرِيم، وسَرِير في سَرِير وفي أكثر الأسماء العَلَمِيَّة. وإن كانوا يشتركون بلفظها مع المدينة أحياناً. لكننا نجد أهل المدينة يقولون: (حَج) وأهل الريف يقولون: (حَج)، مما يفرض علينا إعادة النظر في هذا التعليل من حيث تنزيله واطراده على اللهجات العامية اليوم خصوصاً في اللهجة البغدادية التي هي موضع البحث، وربما يكون التعليل بعلل أخرى إلى جانب هذه العلة أوفق وأكثر اطراداً، مع أننا لا ننكر ميل الحجازيين إلى الكسر بوجه عام.

ونريد أن نؤكد هنا حقيقة تتعلق بقضية ميل الحجازيين للأرق والتيميين للأفخم، وهذه الحقيقة تنص على أن لهجة تميم عمّت كسر أول صيغة

(١) لهجة الكرك، يحيى عبابنة وعبدالقادر مرعي: ٧٩، ٧٨.

(٢) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤٥٦/١.

(فَعِيل) فتحولت في نطقهم باطراد إلى (فَعِيل)، وإن كان اللغويون يشترطون لذلك أن يكون الحرف الثاني من حروف الحلق، نحو: "لَيْم، نَهيق، بَعير، نَحيف، رَغيف، بِخيل"^(١).

وهذه الظاهرة في لهجة تميم تعليلها صوتي محض عند المتقدمين، فيقول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ، ١٠٠٢ م) في ذلك: "ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شَعِيرٍ وَبَعِيرٍ وَرَغِيفٍ. وسمعت الشجري غير مرّة يقول: زَيْر الأسد يريد الزَّيْر. وَحَكَى أبو زيد عنهم: الجَنَّةُ لمن خاف وَعَيْدَ الله"^(٢).

ويقول ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ، ١٠٦٦ م): "وفي فَعِيل لُغَتَان: فَعِيل وفَعِيل إذا كان الثاني من الحروف الستة... كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لَيْم ونَحيف ورَغيف وبَخيل"^(٣).

ومع هذا كله يمكن لنا اليوم أن نُخضع بعض الألفاظ في ميلها للكسر لقانون المدنية والتحضر، والسبب أننا نجد أحياناً في الريف اعتبار كسر أول بعض الألفاظ يُعدُّ مظهراً من مظاهر المدنية والتحضر، فنلاحظ ميل بعض الشباب أو الفتيات والنساء بشكل عام نحو استعمال الظاهرة نوعاً من ملامسة المدنية والتحضر، أو التدلل والرقّة عند النساء كلفظ "سَيَّارة، طَيَّارة، سِجِين"، محاكاة لنطق المدنية، وتفصحاً يشاكل نطق الحضر.

(١) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالنواب: ٤٤.

(٢) الخصائص، ابن جني: ١٤٣/٢.

(٣) المخصص، ابن سيده: ٣٣١.٣٣٠/٤.

ويمكن تفسير ألفاظٍ أخرى في اللهجة خاضعة لهذه الظاهرة على أساس القياس الحاطي الذي ذكره الدكتور عبدالقادر وزميله، فنجد مثلاً بعض الألفاظ تشترك المدينة مع الريف في كسر أولها، كما يقولون: سَمِين في لفظ سَمِين، بَيْت في بَيْت، وَجَدَّام بمعنى: قُدَّام .

ويمكن تعليل بعض هذه الألفاظ بمبدأ السهولة والتيسير، فاللغات عموماً تسعى نحو السهولة والتيسير والاقتصاد في الجهد العضلي، وإذا كان هذا وارداً فمن الطبيعي أن تسعى أو تميل بعض اللهجات في تطورها نحو الكسر، وتنصرف عن الضم ما أمكن، وهذا التفسير يصدق على ما كان أوله مضموماً، وانتقلت اللهجة به في تطورها من الضم الكسر وذلك نحو: "طُيور يقول البغداديون: طُيور، وفي عُشب يقولون: عِشْب، وفي جُنود يقولون: جَنود، وفي فُسْتُق يقولون: فُسْتُق^(١)، وفي فُنْدُق^(٢) يقولون: فِنْدَق، وفي فُرْش جمع فِرَاش يقولون: فِرْش، وفي قُدَّام يقولون: جِدِّم.

والسبب في ذلك أن الضمة هي أثقل الحركات؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصليبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم

(١) يقول ابن منظور: الفستق: معروف. ونقل عن الأزهري: الفستقة فارسية معربة وهي ثمرة شجرة معروفة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: فصل الفاء ٣٠٨/١٠.

(٢) فُنْدُق مفرد: جمعها فنادق؛ وهي نُزُل، ومسكن مفروش لإقامة المسافرين بالأجر. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ١٧٤٥/٣.

الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة^(١)، حتى صُنفت الضمة بأنها حركة ضيقة نظراً لارتفاع اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات، إضافة إلى ذلك انضمام الشفتين حال النطق بها انضماماً شديداً^(٢).

إلا أن الانتقال من الفتح إلى الكسر لا يمكن تعليله بالسهولة واليسير، لأن الكسرة لا يمكن تصنيفها بأنها أخف من الفتحة صوتياً، لذلك تبقى الفتحة هي الأيسر والأسهل في النطق، لهذا تُفسر باقي الألفاظ التي جنحت اللهجة فيها من الفتح إلى الكسر، بما سبق من تعليقات.

وقد يُعترض على تفسير بعض المفردات بمبدأ السهولة واليسير بأن هناك بعض المفردات في اللهجة انتقل فيها من الأخف إلى الأثقل كلفظ: رَماد بفتح أوله، فإن البغداديين يقولون: رُماد بضم الراء، وفي طبق يقولون: طُبُكْ^(٣)، وفي فُقَر يقولون: فُكُرْ، وفي بَصَل يقولون: بُصَل، وفي عيدان جمع عود يقولون: عودان، وفي صَباح الخير يقولون: صُبّاح^(٤) الخير، فقد انتقل نطق اللفظ من الأخف وهو الفتح إلى الأثقل وهو الضم، وهنا نقول: لا يلزم أن يكون السعي نحو السهولة واليسير مطرداً في كل جوانب اللغة، فقد نجد

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٤٨/١.

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٢٣٢ و ٢٣٤.

(٣) الطَبُك: نوع خاص من الأطباق يُصنع من جريد النخل يُستعمل لحفظ الخبز بعد انضاجه.

(٤) ضم الصاد في "صباح" خاص بأهل الأرياف من سكان ضواحي بغداد وكبار السن خصوصاً، ومثلها كلمة مَطْبَخ فإن أهل الأرياف يقولون: مُطْبَخ.

تطوراً عكسياً، وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن نظرية السهولة: "وليس معنى هذا أن النظرية تنطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة، فإذا وجد الباحث أن التطور كان عكسياً، أي من السهل إلى الصعب - كما وجد فعلاً في بعض الحالات - فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور"^(١).

وقد نلاحظ سبق لهجات المدينة والحضر نحو هذه السهولة وهذا الاقتصاد، وشيوع هذه الظاهرة في نطق أهل المدينة، مع قلته في نطق أهل الريف، لكن هذا لا يعني أن لهجات الريف لا تسعى نحو هذا الهدف المشترك بين اللغات عموماً، مع إمكان القول أن لهجة المدينة أسبق وأسرع في تطورها نحو هذا المبدأ خصوصاً فيما يتعلق بظاهرة كسر أوائل الأسماء.

وأود أن أقدم تفسيراً لجنوح لهجة الأرياف نحو هذه الظاهرة، وهذا التفسير ربما يكشف لنا عن بعض أسباب لجوء لهجات الريف نحو الكسر في بعض المفردات كما مرّ، فيظهر أن هذا الكسر هو نوع من التدلل ومحاكاة المدنية، فأبناء الريف ينظرون لأهل المدينة بنوع من الإعجاب، وأن مفرداتهم تتسم بالرقى والنعومة أكثر من مفردات الريف والقرى، لذلك يحدث نوع من المحاكاة والتقليد لهذه اللهجات طمعاً برقي الذوق اللغوي، وهذا قد يُعدّ وجهاً من وجوه "الحذقة والتفصح" أو "التععر في الكلام"^(٢)، أو كما

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٢١٧.

(٢) وهذه مصطلحات وضعت لما يقابل في اللاتينية: Hyperurbanismus، وفي الإنجليزية كلمة: Overcorrectness. ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالنواب: ١١٥.

يسمىها فندريس "الإسراف في المدنية" و "المبالغة في المدنية" و "الغلوّ في مراعاة الصحة"^(١)، أو "المبالغة في التصويب"^(٢)، ولا يقتصر هذا على محاكاة اللغة الأدبية أو الفصحى بل يحدث في كل من يفخر بجمال العبارة وريقها^(٣).

لهذا أقول: إن إعجاب أبناء الريف بلهجات المدينة حاصل، وإذا كان كذلك فمن الطبيعي أن يحدث نوع من المحاكاة لهذه اللهجات، مع صرف النظر عن كون اللهجة المدنية فصيحة أم غير فصيحة، لذا مالت لهجة أبناء الريف في بعض المفردات نحو الكسر باعتباره نوعاً من "التفصح"، وقد حُكي أن رجلاً من المتأدبين أراد شراء ضحية، فقال لبعض البائعين للأضاحي: بكم الكبش؟ بكسر الكاف، فضحك كل من سمعه، فلامه بعض أصحابه، وقال له: لِمَ لَمْ تقل: كبش بفتح الكاف، كما يقول الناس؟ فقال: كذا كنت أقول قبل أن أقرأ الأدب، فما الذي أفادتني القراءة إذن؟!^(٤).

وقد ألحق صبحي الصالح بهذه الظاهرة ظاهرة أخرى، وهي الاستبدالات التي تحصل بين صوتي الياء والواو، ووجه الإلحاق أن الياء لا تختلف عن الكسرة إلا في المدة الزمنية للصوت، فالياء هي امتداد للكسرة، وكذا الواو هي امتداد للضمة، فكما يميل الحجازيون للكسر يميلون إلى الياء فيقولون:

(١) ينظر: اللغة، فندريس: ٨٠.

(٢) ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي: ١٥٩.

(٣) ينظر: اللغة، فندريس: ٨٠.

(٤) ينظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، البطليوسي: ٥٦.

(صَيَّام و نَيَّام)، ويميل التميميون إلى الواو كما يميلون إلى الضم فيقولون: (صَوَّام و نَوَّام) بالواو امتداداً للضم^(١).

ويقول ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ، ٨٥٨م): "أهل الحجاز يسمون الصواغ: الصياغ. قال ويقولون: المياثر والمواثر، والمواثق والمياثق... ويقال: هو المُنَاوَّب والمُنَايَّب، وشَيَّطَه وشَوَّطَه، وكذلك عار يَعِير وَيَعُور"^(٢).

أما في اللهجة البغدادية اليوم فنقول كما قلنا في أصل الظاهرة في قضية الميل إلى الكسر أو إلى الضم: من الصعب جداً تعميم الأحكام فإننا وإن وجدنا أمثال هذا التناوب كما في قول البغداديين: (عيفة) بمعنى اتركه، وقول أهل الريف (عوفة) بنفس المعنى، مع ذلك فإننا لا نلاحظ اطراد هذا الاستعمال، بل نجد استعمال صوت الواو في بعض المفردات عند البغداديين من أبناء المدن، في حين يستعمل أهل الريف المفردة نفسها لكن بصوت الياء، ومن أمثلة ذلك:

في لهجة الريف	في لهجة المدينة
صَيَّاني	صَوَّاني ^(٣)

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٩٧.

(٢) المخصص، ابن سيده: ٢٠٨/٤.

(٣) الصواني والصياني: عبارة عن أطباق عريض نسبياً يُقدم فيه أواني الطعام، واللفظان مترادفان، جاء في مختار الصحاح: "والصَّيْنُ بلد والصَّوَّاني الأواني منسوبة إليه"، مختار الصحاح، الرازي: ٣٧٥/١. فكأن أصل صنع الصواني كان بالصين فلذا نسبت إليه.

ففي المدينة لفظ "صواني" هو اللفظ الشائع، أما في الريف فيقولون:
"صيانى"، مع أن الرقة مع الكسر والخشونة مع الضم كما مرّ، لهذا نقول من
الصعب تعميم الأحكام على لهجة كاملة دون استقراء وتتبع دقيق.

المبحث الثاني

أولاً: الفعل المضارع:

من المعلوم للدارسين والمطلعين على قواعد اللغة وقوانينها أن اللغة العربية الفصحى تفتح حرفَ المضارعة في الفعل الثلاثي باطراد، وذلك نحو: (يكتب، يدرس، ينام، يحمل...)، إلا أننا نلاحظ اليوم في اللهجة البغدادية المعاصرة أنها تكسر حرف المضارعة في الياء والتاء والنون، وكسر ياء المضارعة وتائها ونونها ظاهرة شائعة عند جميع سكان بغداد بلا تمييز، بل تشيع في معظم محافظات العراق اليوم على ألسنة الناس، فيقولون: "يكتب، نلعب، تحمل، يصنع... الخ".

وهذه الظاهرة التي نُشير إليها ونرصدها في اللهجة البغدادية المعاصرة، هي في الحقيقة ظاهرة قديمة حديثة؛ فقد عرفتُها اللهجات العربية قديماً، وهي تعرف عند الباحثين في اللغة واللهجات باسم (التلتلة) أو (تلتلة بهراء).

وعندما ندرس هذه الظاهرة في اللهجة البغدادية من المناسب أن نشير إلى أن هذه الظاهرة ليست حكراً على اللهجة البغدادية اليوم بل نجد أن بعض اللهجات العامية العربية اليوم تشهد مثل هذه الظاهرة، ومنها اللهجة المصرية على سبيل المثال، يقول الدكتور شوقي ضيف (ت ٢٠٠٥م): "وهناك لهجات نسبها اللغويون إلى القحطانيين، من ذلك التلتلة، إذ يكسرون

الفعل المضارع، فيقولون: تعلمون، تكتبون، تنجحون، كما نصنع في عاميتنا المصرية^(١).

ويقول الدكتور رمضان عبدالتواب (ت ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م): "نرى كثيراً من اللهجات الحية المعاصرة في البلاد العربية المختلفة تكسر حرف المضارعة في نحو: (يكتب، ويفتح ويضرب، ويقول) وأشباهها"^(٢).

وقد نص غير واحد من اللغويين على وجود هذه الظاهرة في اللهجات القديمة وتعرف عندهم بـ"التثنية" أو "تثنية بهراء" نسبةً إلى قبيلة "بهراء"^(٣). فيقول ابن جني في ذلك: "وأما تثنية بهراء، فإنها تقول: تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف"^(٤).

وعزاها سيبويه (ت ١٨٠هـ، ٧٩٦م) إلى جميع العرب إلا الحجازيين^(٥)، ونسبها ابن منظور (ت ٧١١هـ، ١٣١١م) إلى كثير من القبائل العربية، فقال: "وتعلم، بالكسر: لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وعامة العرب. وأما أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة، وبعض هذيل، فيقولون: تعلم، والقرآن عليها. وزعم الأخفش أن كل ما ورد علينا من الأعراب، لم يقل إلا

(١) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي -، شوقي ضيف: ١٢٣.

(٢) بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالتواب: ٢٦٥.

(٣) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص، للحريزي: ٢٢٤، والمزهر، للسيوطي: ١/ ١٦٧، والخصائص، ابن جني: ١٣/٢.

(٤) سر صناعة الإعراب، ابن جني: ١/ ٢٤٢.

(٥) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١١٠/٤.

تَعْلَمُ بِالْكَسْرِ"^(١)، وكذلك نسبها الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) لجميع العرب إلا الحجازيين^(٢).

ويقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ، ١٠٠٤م): "نَسْتَعِينُ) وَنَسْتَعِينُ) بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون"^(٣).

والذي يظهر أن كسر أحرف المضارعة ظاهرة سامية قديمة أصلاً، فجذورها تمتد إلى أبعد من القبائل العربية المعروفة قديماً، بدليل وجودها في مجموعة من اللغات السامية، فقد وجدت هذه الظاهرة في العبرية والسريانية والحبشية^(٤)، كما وجدت في لهجات جنوب اليمن الحديثة كالمهرية والشحرية والبوتاحارية، وفي لهجات السريان في هذه الأيام^(٥).

ومن هذا يستدل الدكتور رمضان عبدالتواب بأن كسر حروف المضارعة هو الأصل في اللغة، والفتح أمر حادث في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده - أي: الفتح - في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في

(١) لسان العرب، ابن منظور: فصل (الواو) ٤٠٢/١٥ - ٤٠٣.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي: ١٤١/١.

(٣) الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس: ٢٥.

(٤) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبدالتواب: ١٢٥.

(٥) ينظر: اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الجندى: ٣٩٧/١.

بعض اللهجات العربية القديمة واستمراره حتى الآن في اللهجات المعاصرة^(١). فكل ذلك يؤكد أن الأصل في حروف المضارعة هو الكسر.

إلا أن الدكتور إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) يرى أصالة الفتح، حيث يقول: "نرجح أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات. وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية"^(٢).

والذي يؤيد وجهة الدكتور رمضان عبد التواب في أن الكسر هو الأصل ما ذكره سيبويه في كتابه من أن كسر أول الفعل المضارع لغة جميع العرب إلا الحجاز، فلغتهم الفتح، قال: وهو الأصل^(٣). فقول سيبويه: إن الكسر لغة جميع العرب يؤكد ظهور وشيوع هذه الظاهرة على الأصل، والفتح هو الذي يمكن أن يعتبر تطوراً في اللغة، أما قوله عن الفتح "وهو الأصل" فهذا تحليل منه لم يقم على دليل منطقي، وإلى نحو هذا ذهب ابن سيده (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، بعد توصيفه لهذه الظاهرة أنها لغة الجميع إلا الحجازيين قال: "وجميع ما ذكرنا مفتوح في لغة أهل الحجاز وهو الأصل يعني تَعْلَم ونَعْلَم وما أشبهه وصارت لغتهم الأصل، لأن العربية أصلها

(١) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب: ١٢٥.

(٢) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ١٤٠.

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١١٠/٤.

إسماعيل عليه السلام، وكان مسكنه مكة^(١). بمعنى أن الأغلب كان على لسان العرب هو الكسر ثم ساد الفتح الذي هو للحجازيين، وأصبح هو الأصل متأخراً، أي: هو المعتمد في اللغة الفصحى المشتركة التي تعتمدها القبائل العربية في التخاطب ونصوصها الأدبية وليس أصلاً بمعنى أسبق وأقدم. وقد ردَّ بعض الباحثين على استدلال الدكتور رمضان عبدالنواب، فقوله بعدم وجود الفتح في الساميات، يُعترض عليه بأن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات، فالفتح ليس حادثاً فيها بل إنه الأصل، والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم^(٢).

أما قضية استمراره في اللهجات اليوم فيرجع ذلك إلى أن اللهجات اليوم متوارثة عن لغات عربية قد يكون بعضها محافظاً على الصيغة القديمة، وقد يكون متطوراً عن هذه اللغات التي غيرت نهجها وفقاً لقوانين لغوية^(٣).

وقد فسر الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة من المنظور الاجتماعي، وذلك بأن بعض القبائل التي تأثرت بحياة التحضر قد آثرت صوت اللين الأمامي الذي نسميه الكسرة، وأن بهراء قد تأثرت بما في الشام من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطردهما حرف المضارعة^(٤).

(١) ينظر: المخصص، ابن سيده: ٣٣٣/٤.

(٢) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبدالغفار حامد: ٢٩٥.

(٣) ينظر: لغة تميم، ضاحي عبدالباقي: ٢١٠.

(٤) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ١٣٩.

وهذا التعليل لا يستقيم في تفسير جنوح اللهجة البغدادية نحو هذه الظاهرة، وذلك لأن الظاهرة شائعة بين سكان المدينة والريف على حد سواء، بل ولا يستقيم حتى في تعليل شيوع هذه الظاهرة في اللهجات القديمة؛ لوجود هذه الظاهرة في لهجات البادية.

لذلك يعلق الدكتور عبده الراجحي (ت ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م) على هذا التعليل بأنه يصح لو أن الرواة لم ينسبوا هذه الظاهرة إلى تميم وهذيل، فتميم من قبائل البادية، وهذيل من القبائل الحجازية، لكن ذلك يمكن أن يرتضى لأن اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف^(١).

وقد بين الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) أن العرب تكسر حروف المضارعة في مضارع الثلاثي المبني للفاعل إذا كان ماضيه على وزن فَعِلَ، أي: مكسور العين، فيقولون: اعلم، ونعلم، وتعلم، وكذا في المثال والأجوف والناقص والمضاعف نحو: إيجل، وإخال، وإشقي وإعض^(٢).

وفسر ذلك كله بقوله: "وإنما كسرت حروف المضارعة تنبيهاً على كسر عين الماضي، ولم يكسروا العين لئلا يلتبس وزن بوزن يفعل المفتوح يلتبس بمضارع فعل يفعل ولم يكسر والياء للاستثقال"^(٣).

(١) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي: ١١٧.

(٢) ينظر: المغني في تصريف الأفعال، عضيمة: ١٦٠.

(٣) المغني في تصريف الأفعال، عضيمة: ١٦٠.

وكذلك كسروا حروف المضارعة غير الياء تنبيهاً على كون الماضي مكسور الأول وهو همزة، وكسروا ما أوله تاء زائدة نحو: تَتَكَلَّمْ؛ تشبيهاً له بباب انفعل لدلالته على المطاوعة مثله^(١).

وكل ما علل به عضيمة يبدو أنه من قبيل القياس الخاطئ من الناطقين بهذه اللهجة، وإن سماه عضيمة: "تنبيهاً لـ"، لأن الكسر لهجي لا يظهر أنه واعٍ إلى درجة أن من يكسر حرف المضارع يريد التنبيه إلى ماضيه أو عين الفعل المكسور، فيبقى التوجيه أن ذلك من قبيل القياس الخاطئ على غيره مما كُسر.

وكما يبدو أن هذه الظاهرة كانت تقتصر على كسر تاء المضارعة فحسب، بدليل أكثر الشواهد التي يوردها اللغويون لهذه الظاهرة هي بالتاء، وبدليل لقب هذه الظاهرة أنها سُميت بـ"الثلاثة" نسبة إلى تحريك تاء المضارعة بالكسر، كما قالوا: "الكشكشة"^(٢) نسبة إلى الشين التي تُبدل من كاف الخطاب للمؤنث، أما ما حصل في اللهجة البغدادية المعاصرة ومن قبلها اللهجات العربية القديمة، فهو أن عُمِّمت هذه الظاهرة على ياء المضارعة ونونها أيضاً، فيقولون: يَكْتُب، يَدْرُس، يَلْعَب، يَزْرَع، يَحْمِي، يَدْرِي، يَضْرِب. كما يقولون في كسر تاء المضارعة: تَكْتُب، تَلْعَب، تَدْرُس، تَنْجَح، تَمْسَح، وفي نون المضارعة يقولون: نَحْي، نَلْعَب، نَشْرَب، نَلْبَس، نَضْرِب.

فقد عُمِّمت هذه الظاهرة على حروف المضارعة مع أنها تختص بالتاء من حيث الأصل، كما في حال ظاهرة الكشكشة التي كانت تختص بكاف

(١) السابق نفسه.

(٢) وهي عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيناً أو إلحاقها شيناً، وقد نسبها سيبويه إلى ناس كثير من تميم وناس من أسد. ينظر: الكتاب، سيبويه: ١٩٩/٤.

الخطاب المكسورة في ضمير المؤنث عند الوقف، نحو: إِنْشِ أَي: إِنْكَ، ومالش أَي: مَالِك. وذلك للفصل بين كاف الخطاب المفتوحة للمذكر والمكسورة للمؤنث حال الوقف^(١)، ثم عُمِّت حال الوصل وفي غير كاف الخطاب نحو: "الديش" أي الديك^(٢). وفي اللهجة البغدادية المعاصرة أيضاً قد عُمِّت هذه الظاهرة على غير كاف الخطاب المؤنثة.

ثانياً- الفعل الماضي:

يكثر في اللهجة البغدادية المعاصرة كَسْرُ أول الفعل الثلاثي المجرد، ولا فرق في هذا الكسر بين الفعل مفتوح العين أو مضموم العين^(٣) أو مكسور العين، وإنَّ عين الثلاثي المجرد في اللهجة مفتوحة باطراد، ولا تراعي اللهجة الفوارق الصوتية الفصيحة بين الأفعال المختلفة من حيث فتح عين الفعل أو ضمها أو كسرها، وهذه الظاهرة -كسر أول الفعل- تشيع في بغداد، بل وفي جميع محافظات العراق. ومن شواهد ذلك في اللهجة البغدادية:

النطق في اللهجة	النطق الفصيح
قَتَلَ	قَتَلَ
كَسَرَ	كَسَرَ
جَمَعَ	جَمَعَ

(١) ينظر: الكتاب، سبويه: ١٩٩/٤.

(٢) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبدالنواب: ١٤٧.

(٣) وإن كانت الأفعال مضمومة العين لا تستعمل في اللهجة إلا نادراً أصلاً، حسب تنبعي لمعجم الألفاظ التي تدرج على ألسنة البغداديين، لكن لو استعمل يُكسر أوله على الغالب، ولا أعرف سبب موت أو ضمور المفردات الفعلية مضمومة العين من حيث الاستعمال.

نَزَلَ	نَزَلَ
كَتَبَ	كَتَبَ
دَرَسَ	دَرَسَ
رَكُضَ	رَكُضَ
طَلَعَ	طَلَعَ
نَزَلَ	نَزَلَ
سَلِمَ	سَلِمَ
رَكَبَ	رَكَبَ
سَمِعَ	سَمِعَ
حَمَدَ	حَمَدَ
سَمِنَ	سَمِنَ
عَظُمَ	عَظُمَ
صَلَبَ	صَلَبَ
فَسَقَ	فَسَقَ
أَدَبَ	أَدَبَ
جَرَأَ	جَرَأَ
شَرَفَ	شَرَفَ
نَبَلَ	نَبَلَ

وتفسير هذه الظاهرة وهي كسر الحرف الأول في الماضي هو القياس على المضارع الذي يُكسر أوله في اللهجة باطراد، كما بينا في ظاهرة التثنية.

ولم تشهد اللهجات العربية القديمة هذه الظاهرة أو على الأقل لم تُنقل إلينا إن كانت موجودة بوصفها ظاهرة، وقد ذكر سيبويه في كتابه مثلاً واحداً لكسر الحرف الأول من الفعل الماضي في اللهجات العربية القديمة، وهو: مِتُّ تموت، ومُتُّ تموت أقيس^(١). وذكر ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م) أن ما كسر أوله من الماضي في كلام العرب هو: دِمْتُ أدوم، ومِتُّ أموت فقط^(٢).

وقد ذكر كارل بروكلمان شاهداً في باب قلب الأصوات التأثري، وهو نشوء حركات جديدة في أول الكلمة، وسماها حركة مساعدة، وهذه الحركة المساعدة كما يقول: هي في العربية الكسرة^(٣). فيبين أن العربية تميل إلى الكسر حتى في نشوء واستحداث حركات مساعدة، وذلك يعتمد على الخفة واليسر في النطق في أغلب أحواله.

وقد نجد في اللهجة البغدادية مجموعة من الأفعال الثلاثية المجردة مضمومة الفاء، مما يوجب علينا تحليل أو تعليل هذا الضم والأسباب التي دعت إليه، وعلة عدم خضوع هذه المفردات الفعلية إلى ظاهرة كسر أولها كغيرها من مفردات اللهجة، ومن شواهد ذلك في اللهجة:

النطق في اللهجة	النطق الفصح
صُبِّرَ	صَبَرَ يَصْبِرُ
صُمِّدَ	صَمَدَ يَصْمُدُ
جُبِّرَ	جَبَرَ يَجْبِرُ
رُمِّ	رَمَى يَرْمِي

(١) الكتاب، سيبويه: ٤٠/٤.

(٢) ينظر: ليس في كلام العرب، ابن خالويه: ٥٩.

(٣) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان: ٧٣.

كَمْشٌ يَكْمِشُ (٢)	كَمْشٌ (١)
مَكَّرَ يَمَكِّرُ	مَكَّرَ
طَفَّرَ يَطْفِرُ	طَفَّرَ (٣)
قَفَّرَ يَقْفِرُ	گَمَزَ (٤)
سَبَقَ يَسْبِقُ	سُبِقَ
بَرَكَ يَبْرُكُ	بُرِكَ
نَوَى	نُوِيَ
بَقَّرَ يَبْقُرُ	بُقِّرَ بَطْنُهُ
طَمَعَ يَطْمَعُ (٥)	طُمِعَ
دَفَّرَ (٧) يَدْفُرُ	دُفِّرَ (٦)
طَبَعَ يَطْبَعُ	طُبِعَ

(١) تستعمل هذه المفردة رديفاً للفعل (أمسك).

(٢) الكمش: الرجل السريع الماضي. رجل كمش وكميش: عزوم ماضٍ سريع في أموره، كمش كمشاً وكمش، بالضم، يكمش كماشة وانكمش في أمره. ينظر: لسان العرب: مادة (كمش) ٣٤٣/٦.

(٣) طَفَّرَ: قَفَّرَ، ووُتِبَ في ارتفاع، وطَفَّرَ الشَّيْءَ: قَفَّرَ من فوقه وتخطاه إلى ما وراءه. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ١٤٠٤/٢.

(٤) تستعمل هذه اللفظة رديفة لـ (قَفَّرَ) وحصل إبدال بين الفاء والميم، وكلاهما صوت شفوي فيمكن الإبدال بين الصوتين لقرب المخرج مع القاف في اللهجة تنطق قافاً مجهورة وهي ما تُسمى بالميم السامية المفردة أَر الميم القاهرية.

(٥) يُقَالُ في التَعَجُّبِ طَمَعَ يَطْمَعُ طَمْعٌ. ينظر: تاج العروس، الزبيدي: مادة (طمع) ٤٥٩/٢١.

(٦) يقول البغداديون: دُفِّرَ أي: أي ركله برجله.

(٧) جاء في اللسان: "الدفر: الدفع. دفر في عنقه دفرأ: دفع في صدره ومنعه.. ودفرته في قفاه دفرأ أي دفعته. ينظر: لسان العرب مادة (دفر) ٢٨٩ / ٤.

صَفَا يَصْفُو	صُفَّ ^(١)
بَرَدَ يَبْرُدُ	بُرِّدَ ^(٢) .
خَمَدَ يَخْمُدُ	خُمِدَ
طَبَقَ يَطْبُقُ	طُبِّغَ ^(٣)
كَبُرَ يَكْبُرُ	كُتِبَ
عَبَّرَ يَعْبُرُ	عُبِّرَ

والذي نستطيع أن نقوله في سبب ضم أول هذه الأفعال في اللهجة البغدادية، وعدم خضوعها لظاهرة كسر أوائل الكلمات كغيرها من الأفعال والمفردات عموماً، مجموعة أمور، يمكن رصدها من خلال ملاحظة هذه الأفعال والاطلاع على أصولها المعجمية في الماضي والمضارع وانتمائها إلى الباب الصرفي من حيث حركة عين الفعل في الماضي والمضارع، وهذه الأمور أو الملاحظات هي:

أولها: إن عينَ الفعل الذي ضُمَّ أوله، مضمومةٌ في ماضيه الفصيح، فكأن الضم في العين نُقِلَ إلى فاء الفعل، أو تأثرت حركة فاء الكلمة بعينها للمجاورة فحدث الضم للمجاورة، ثم فُتِحَت عين الكلمة لاطراد ذلك الفتح في الجميع؛ لأن فتح عين الفعل مطرد في جميع الأفعال الماضية في اللهجة،

(١) يقول البغداديون: صُفَّ المَي. بتفخيم فتحة الميم أي: صَفَا الماء.

(٢) هذه المفردة هي من المشترك اللفظي فيمكن أن تكون من البرد والنحت ويمكن أن تكون من البرودة. وعين الفعل تفتح وتضم في الفصحى، جاء في القاموس: بَرَدَ، كَنَصَرَ وَكُرِّمَ، بُرِّدَ، وَمَاءٌ بُرِّدَ وَبَارِدٌ. القاموس المحيط: فصل الباء ١/ ٢٦٧.

والفرق في الفصحى أن الأول مفتوح العين (بَرَدَ) والثاني مضموم العين (بُرِّدَ).

(٣) يقول البغداديون: طُبِّغَ الباب. أي: أغلقه.

فيكون نوعاً من انتقال الحركة أو من التأثر للمجاورة كما في مثل (كُمَشْ من كُمَشَ و كُبَر من كُبِرَ).

ثانياً: يُضَمُّ أولُ الفعلِ أحياناً نتيجة ضمِّ عينه في المضارع الفصيح، وهذا الضم للماضي من القياس على المضارع والاعتداد بحركة عينه والتأثر بها دون مراعاة لماضيهِ مفتوح العين أو مكسور العين، وهذا واضح في بعض الأفعال المضارعة مضمومة العين الواردة في الجدول السابق.

ثالثاً: قد يُضَمُّ أولُ الفعلِ نتيجة التأثر بلام الكلمة الواوي، والضم بعض الواو كما هو معلوم، فمثلاً الفعل (صَفَا)، مع أن أول الفعل مفتوح في الفصيح، ولا يوجد مبرر للضم في أوله، إلا أن اللهجة راعت أصل الألف وهو الواو، بدليل مضارعه (يصفو)، فُضِمَ أوله مراعاة للواو التي هي الأصل، أو نقول مراعاة للمضارع المشتمل على الواو وهي لام الكلمة.

رابعاً: يتأثر أول الفعل فيُضَمُّ في حال أن الفعل يكثر استعماله بصيغة المبني للمجهول، ومثال ذلك (طَبَعَ) فيقال: (طُبِعَ الكتاب، طُبِعَت الصحيفة) وفي التنزيل: (فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمُ) المنافقون: ٣، وإن كان الطبع هنا بمعنى آخر، إلا أن كثرة بناء الفعل للمجهول ساعد على ضم أول الفعل الماضي.

ثم إن اللهجة البغدادية قد استغنت عن صيغة المبني للمجهول (فُعِلَ) أصلاً بصيغة انفعال^(١). فما يكثر بناؤه للمجهول ضم أوله في الماضي بالقياس الخاطئ على المبني للمجهول الفصيح الذي غاب استعماله في اللهجة.

ومن الملاحظ هنا أيضاً أن الأفعال الدالة على السرعة والسير والحري يُضم أولها غالباً كما في الأفعال: (طَفَرُ، كَمَزُ، سَبَقُ، بُقِرُ، دُفِرُ، طُبِكُ، كُمَشُ، رُمُ).

وقد يُفتح أول الفعل على الأصل لكن هذا نادر جداً، فيقولون مثلاً: (زَعَلَ^(٢)، رَحَلَ) والأول يمكن أن نقول في سبب فتحه أن فاءه فتحت قياساً على الفعل (زاعل) يقولون: زَاعَلَ صديقه. المستعملة في اللهجة بنفس المعنى الثلاثي - زَاعَلَ صديقه أو زَعَلَ منه -.

وما كان مجرداً ومشدداً أي مدغم العين في اللام فيفتح أوله أيضاً فيقولون: (جَرَّ، دَرَّ، كَدَّ، عَدَّ...).

(١) انفعال صيغة مجهول. انثكل أي أكل. انقُتد أي: فُقِدَ. انكسر أي: كُسِرَ. انجمع أي: جُمِعَ. انقتل أي: قُتِلَ. فاستغنت اللهجة بصيغة انفعال عن صيغة فُعِلَ.

(٢) تستعمل هذه المفردة بمعنى التضجر والمخاصمة فيقولون: زَعَلَ فلان. أي: تضجر من شيء. ولم أجد في المعجم رابطاً بين هذا الجذر ومعناه المستعمل في اللهجة البغدادية، فَرَعَلَ يَزَعُلُ من باب فَرَجَ. بمعنى نشط، وفي تكملة المعاجم زَعَلَ، عند البدو: بهت، دهش، انذهل. وفي المدن: اغتاظ، تسخط، سخط، حنق. ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت: ٣٣٠/٥. ويقول أحمد مختار عمر: زَعَلَ بمعنى ضَجِرَ واغتاظ وهي مرفوضة؛ لأنها لم ترد بهذا المعنى في المعاجم القديمة. ينظر: معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر: ١/ ٤٢٢.

أما الفعل الماضي المزيد بحرف، فلا يُكسر أوله في اللهجة فما كان على وزن "أفعل"، فيقولون: (أَكْرَم، أَبْدَعَ، أَنْتَج...) وما كان على وزن فَعَّل: فلا يُكسر أوله أيضاً فيقولون: (كَسَّر، جَمَعَ، رَوَّض، دَوَّر، عَظَّمَ، هَدَّمَ، رَوَّر).

وكذلك ما كان على وزن فاعل: فالناطقون باللهجة البغدادية لا يكسرون أوله، فيقولون: (سَافَر، قَاتَلَ، عَارَكَ، نَاطَح...) وذلك أن الفتحة الطويلة بعد الصامت الأول هي التي منعت كسر الصوت الأول، كما هو الحال في الثلاثي المجرد الأجوف الألفي فيقولون: (نَام، قَام، صَام) من دون كسر.

ثالثاً - فعل الأمر:

يُصاغ فعلُ الأمر في فصحي اللغة العربية من الفعل المضارع كما يقول النحويون، وذلك بعد حذف حرف المضارعة دون أي تغيير، إلا أن حذف حرف المضارعة من الفعل الثلاثي يؤدي إلى الابتداء بالساكن وهذا محظور في النظام المقطعي للغة العربية لذلك نلجأ إلى الابتداء بهمزة الوصل تخلصاً من الابتداء بالساكن، وتُنطق الهمزة مضمومة إذا كانت عين الفعل مضمومة نحو: أْكُتِب. وتُنطق مكسورة في غير ذلك نحو: (اجْلِس، افْتَح)، أما الأفعال التي تبدأ بحرف متحرك بعد حذف حرف المضارعة فلا تحتاج إلى شيء نحو: (دَحْرَج، ناقش، نم)^(١).

ومن الملاحظ في لهجة بعض البغداديين، أنه يطرد فيها كسر أول فعل الأمر، وهذه اللهجة تُمثل شريحة معينة وانتماءً معيناً لسكان بغداد، وهم

(١) ينظر: التطبيق النحوي، عبده الراجحي: ٥٩-٦٠.

السكان المنتمون إلى المذهب الشيعي، وعلة ذلك - كما يظهر - أنهم قوم نزحوا من جنوب العراق إلى بغداد في منتصف القرن الماضي، ونقلوا لهجة الجنوب إلى بغداد، فيقولون مثلاً فيما كان أصله الفصحى الضم:

اللهجة العامية	اللهجة الفصحى
إِخْذْ	خُذْ
إِدْرَسْ ^(١)	أُدْرَسْ
إِكْلْ	كُلْ
إِكْتَلْ	أُقْتَلْ
إِغْعَدْ	أُقْعَدْ
كِلهْ	قُلْ لَهُ
إِسْكِنْ	أُسْكِنْ
إِنْكِلْ	أُنْقُلْ
إِدْخِلْ	أُدْخِلْ
إِخْرِجْ	أُخْرِجْ
إِطْرِدْ	أُطْرِدْ
إِنْقَشْ	أُنْقَشْ
إِثْرِدْ	أُثْرِدْ

(١) بعض سكان بغداد يضمون همزة الوصل على الأصل في جميع هذه الأفعال وهم الذين لا ينتمون إلى من نزحوا إلى بغداد من جنوب العراق.

إرشك	أرشق
إركص	أرقص
إسرد	أسرد
إكرص	أقرص

وكسر مثل هذه المفردات يختص به من ذكرنا من سكان بغداد، أما بقيّة سكانها من غير هؤلاء القوم، فهم يضمون أول هذه الأفعال على الأصل، فيقولون: (أَدْخُل، أَدْزُس، أَخْرُج، أَكْغُد....)، إلا أن سكان بغداد جميعاً يشتركون في كسر بعض المفردات التي حقها الضم في الفصحى، وذلك نحو:

اللهجة العامية	اللهجة الفصحى
إَكْتَب ^(١)	أَكْتُب
مَد	أَمَدَد أو مُدَّ
إَحْرَص	أَحْرَص
إِدْبَغ	أَدْبَغ
إِفْلَق ^(٢)	أَفْلَق
إِحْضِن	أَحْضُن
إِخْلِق	أُخْلِق

(١) مع أن مثل هذه الأفعال مضمومة العين في المضارع فتقتضي أن تُضم همزة الوصل فيها إلا أن اللهجة البغدادية عموماً تكسر أول الفعل.

(٢) يقال فلقه. أي: شقه.

إِدْلِكْ	أُدْلِكْ
إِدْهِنْ	أُدْهِنْ
إِرْجِفْ	أُرْجِفْ
إِرْسِمْ	أُرْسِمْ
إِسْجِنْ	أُسْجِنْ
إِسْلِبْ	أُسْلِبْ
إِصْقِلْ أَوْ اسْقِلْ	أُصْقِلْ أَوْ أُسْقِلْ
إِعْضِدْ	أُعْضِدْ
إِعْلِجْ	أُعْلِكْ

والذي يظهر أن عموم سكان بغداد قد تأثروا باللهجة الجنوبية في كسر أوائل الأفعال التي مرَّ ذكرها، وذلك أن الذين استوطنوا بغداد من أهل الجنوب جاؤوا بأعداد كبيرة، واحتلوا مواقع كثيرة، خصوصاً المواقع التي تحصل فيها ملامسة واحتكاك واختلاط بين أبناء هذه المحافظة كالأسواق العامة الشعبية وغيرها من مرافق الحياة.

وإلا فاللهجة البغدادية الأصلية لا تكسر أول فعل الأمر الذي مضارعه مضموم إلا نادراً في بعض المفردات فيقولون في الغالب: (أدرس، أكتب، أنصُر...).

ومن المحتمل أن يكون سبب كسر أول فعل الأمر في اللهجة البغدادية يرجع إلى القياس على كسر الحرف الأول من الأفعال الجوفاء الياثية في مثل:

(بِع، زِد، أَعِد) التي تُنطق بتطويل الحركة القصيرة -الكسرة- في اللهجة
البغدادية المعاصرة فتكون: (بِيع، زِيد، عِيد)، فقياساً على هذا الكسر كُسر
أول فعل الأمر.

الخاتمة:

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله على ما أعان ويسر، وسدد ومهد،
أود أن أوجز مجموعة النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

أولاً: بين البحث في جميع مواطن الرصد والاستقراء والتحليل أن اللهجة
البغدادية العامية هي امتداد للفصحى واللهجات العربية الفصيحة القديمة فيما
يتعلق بظاهرة كسر أوائل الكلمات، أو نقول فصحي جرى عليها بعض
التحريف والتغيير لأسباب معينة ذكرناها في مواطن متفرقة من البحث.

ثانياً: اشتملت اللهجة البغدادية على ظاهرة كسر أول الأسماء، وترجع
هذه الظاهرة كما بينا إلى لهجة الحجازيين، وعلة ذلك الكسر في اللهجة إما
مدنيةً وتحضراً، وإما من قبيل القياس الخاطئ على الألفاظ التي يحدث فيها
مماثلة صوتية إذا جاء بعد حركة الحرف الأول فيها حرف متلوٌ بكسرة قصيرة
أو طويلة، كما في: بَعِير: أي بَعير، وشَعِير: أي شَعير.

ثالثاً: يمكن تفسير جنوح اللهجة نحو الكسر بمبدأ السهولة والتيسير،
فاللغات عموماً تسعى نحو السهولة والتيسير والاقتصاد في الجهد العضلي،
وإذا كان هذا وارداً، فمن الطبيعي أن تسعى أو تميل بعض اللهجات في
تطورها نحو الكسر، وتنصرف عن الضم ما أمكن، فإن أثقل الحركات
الضمة؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين
الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها
العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة.

رابعاً: رصد البحث في اللهجة، كسر ياء المضارعة وتائها ونونها، وهذه ظاهرة شائعة عند جميع سكان بغداد بل تشيع في معظم محافظات العراق اليوم، وهذه الظاهرة التي نشير إليها يؤكد كثير من الباحثين والمتابعين اللهجات المعاصرة في مختلف أقطارنا العربية، وجودها في اللهجات العامية، والحقيقة أنها ظاهرة عرفت اللهجات العربية قديماً كما تعرف بالتلتلة عند المتقدمين أو "تلتلة بهراء".

خامساً: بين البحث أن الفعل الماضي في اللهجة البغدادية المعاصرة قد تأثر بهذه الظاهرة أيضاً، وتفسير هذا التأثير هو بالقياس على المضارع الذي يُكسر أوله في اللهجة باطراد.

سادساً: رصد البحث مجموعة من الأفعال الماضية الثلاثية المجردة في اللهجة البغدادية مضمومة الفاء، أي أنها لم تخضع لظاهرة كسر أوائل الكلمات كغيرها من الأفعال، وقد عللنا ذلك بأربع علل وهي مفصلة في محلها.

سابعاً: من الملاحظ في جزء من اللهجة البغدادية أنها يطرد فيها كسر أول فعل الأمر، وهذه اللهجة تمثل انتماء معيناً لسكان بغداد، وهم السكان الذين نزحوا إلى بغداد من جنوب العراق واستقروا فيها في منتصف القرن الماضي، ونقلوا معهم لهجة الجنوب إلى بغداد.

ويشترك جميع سكان بغداد بكسر بعض المفردات، وقد يكون هذا من التأثير باللهجة الوافدة عليهم، أو يرجع إلى القياس على كسر الحرف الأول من الأفعال الجوفاء الياثية في مثل: (بع، زد، أعِد) التي تنطق بتطويل الحركة القصيرة -الكسرة- فتكون: (بيع، زيد، عيد).

المصادر والمراجع

١. أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
٣. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ابن السيد البطليوسي، دار الكتب المصرية، القاهرة، تحقيق: أ. مصطفى السقا - د. حامد عبد المجيد.
٤. بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزبيدي ، دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين.
٦. تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي-، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر - القاهرة.
٧. التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار الميسرة، الأردن - عمان، الطبعة الثالثة: ٢٠١٠م.
٨. التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- ٩ . تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمّد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.
- ١٠ . الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثى، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ١١ . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
- ١٢ . دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، ٢٠٠٩م.
- ١٣ . درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت ٥١٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، تحقيق: عرفات مطرجي.
- ١٤ . سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥ . شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضى الإستراباذي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد وآخرين.

١٦. الصاحبى فى فقه اللغة العربىة ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزوينى الرازى، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، محمد على بيضون، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٧. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠م.
١٨. العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصرى (ت ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائى.
١٩. فصول فى فقه اللغة، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة السادسة: ١٩٩٩م.
٢٠. فقه اللغات السامية، بروكلمان، ترجمة: رمضان عبدالتواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م.
٢١. فى اللهجات العربىة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرىة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م.
٢٢. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، تحقيق: مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة.
٢٣. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه (ت ١٨٠هـ)، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.
٢٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

٢٥. لغة تميم، ضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٢٦. اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢٧. اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٣٩٩هـ.
٢٨. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م.
٢٩. اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبدالغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٣٠. لهجة الكرك - دراسة وصفية تاريخية في الأصوات والأبنية-، عبدالقادر مرعي الخليل ود. يحيى القاسم، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٣١. ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.
٣٢. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م، المحقق: يوسف الشيخ محمد.

٣٣. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.
٣٤. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: فؤاد علي منصور.
٣٥. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
٣٦. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٨. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٣٩. المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢م.